الفصل الرابع

الْكِتَابَاتُ العروبية وبدايـــاتُ الخـــطِّ العربـــيِّ

١. الْكِتَابَاتُ العروبية
المرحلـــةُ الأَوْلـــى: المرحلـــةُ الصُّوَريَّة

بَدَأتِ الْكِتَابَةُ فِي بِلادِ مَا بَينَ النَّهرَيْنِ فِي سُوْمَرَ وَفِيْهَا تَطَوَّرَتْ وَمِنْهَـا انْطَلَقَـتْ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ إِلَى بَاقِي أَرْجَاءِ المَعْمُورَةِ، وَكَانَتْ هَذهِ اللغةُ أَوْلَ لُغَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَجَدَتْ طَرِيْقَهَا إِلَى التَّدْوِيْنِ، فَكَانَتْ الْكِتَابَةُ صُوَرَيَّةً فِي بِدَايَاتِهَا، ثُمَّ تَطَوَّرَتْ نَحْـوَ الْكِتَابَـةِ المَقْطَعِيَّـةِ، وَفِي الرُّبْعِ الأَخِيْرِ مِنَ الأَلفِ الرَّابعِ قَبْلَ المِيْلادِ أَوْ قَبْـلَ ذَلِـكَ بِقَلِيْـلٍ، بَـدَأَتْ بَـوَاكِيرُ الْكِتَابَةِ الصُّوَرِيَّةِ فِي مَدِينَةِ الْوَرْكَاءِ، إِذْ عُثِرَ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِن مَوْقِـعِ الْوَرْكَـاءِ عَـلَى كِتَابَاتٍ تَمَثَّلَتْ بِأَشْكَالٍ وَصُوَرٍ سُمِّيَتْ بِـ(الْكِتَابَاتِ الصُّوَرِيَّةِ)، ثُـمَّ تَطـوَّرَتْ الْكِتَابَـةُ الصُّوَرِيَّةِ فِي مَرَاحِلَ لاحِقَةٍ إِلَى الْكِتَابَـةِ الرَّمْزِيَّـةِ المَقْطَعِيَّـةِ، ثُـم إِلَى الْكِتَابَـةِ المِسْـمَارِيَّةِ المَعْرُوْفَـةِ، وَالمِسْـمَارِيَّةُ تَرْجَمَـةٌ لِلْمُصْـطَلَحِ الإِنْكِلِيـزِيِّ (Cuneiform) الَّتِـي تَعْنِـي (شَكْلَ الإِسْفِيْنِ أو المِسْمَارِ)، لِأَنَّ رُمُوزَ هَذِهِ الْكِتَابَـةِ تَنْتَهِـي بِشَـكْلٍ يُشْـبِهُ المَسَـامِيْرَ، وَحُلَّتْ رُمُوزُ الْكِتَابَةِ المِسْمَارِيَّةِ فِي مُنْتَصَفِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ المِيْلَادِيِّ، إِذْ عُثِـرَ عَـلَى جُمْلَةٍ مِنَ النُّصوصِ المُدَوَّنَةِ الَّتِي تُرْجِمَتْ فِيمَا بَعْدُ وَ أَفْصَحَتْ عَنْ طَبِيْعَـةِ الْكِتَابَـاتِ فِي

تِلْكَ المَرْحَلَةِ[1]، وَكَانَتْ طَبِيْعَةُ الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ فِي الأَصْلِ كِتَابَةً صُوَرِيَّةً بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الكَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ الكَلِمَةَ الدَّالَةَ عَلَىٰ الْرَجُل فَإِنَّهُ يَرْسُمُ هَيْئَةَ الْرَجُلِ، تَمَامَاً مِثْلَمَا نَرَىٰ فِي الْكِتَابَةِ الهِيْرُوْغلِيفِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَيْضَاً كِتَابَةٌ صُوَرِيَّةٌ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الكِتَابَتَيْنِ الصُّوَرِيَتَيْنِ الْمِسْمَارِيَّةِ والهِيروغليفيةِ يَكْمُنُ فِي أَنَّ أَشْكَالَ الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ الَّتِي تَطَوَّرَتْ بِسُرْعَةٍ لِتَتَّخِذَ أَشْكَالاً مُجَرَّدَةً هِيَ أَشْكَالُ المَسَامِيْرِ وَمِنْ ثَمَّة تَسْمِيَتُهَا بالْكِتَابَة الْمِسْمَارِيَّةِ بَيْنَمَا حَافَظَتْ الْكِتَابَةُ الهيروغليفيةُ عَلَىٰ أَشْكَالِهَا الصُّوَرِيَّةِ البِدَائِيَّةِ.

والْكِتَابَةُ الصُّوَرِيَّةِ كِتَابَةٌ صَعْبَةٌ لِأَنَّهَا تَفْتَرِضُ وُجُوْدَ صُوْرَةٍ لِكُلِّ مُسَمَّىً، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ حِفْظَهَا وَاسْتِعْمَالِهَا بِوضُوْحٍ أَمْراً صَعْباً لِكَثْرَةِ الْمُسَمَّيَاتِ وَالأَشْيَاءِ وَكَثْرَةِ الاشْتِرَاكِ فِي مَعَانِي صُوَرِهَا. أَضِفْ أَنَّ كِتَابَةَ المَفَاهِيْم الفِكْرِيَّةِ وَالمَجَازِ شِبْهُ مُسْتَحِيْلٍ فِي هَذهِ الْكِتَابَةِ لِصُعُوْبَةِ تَصْوِيْرِهَا. وللتمثيل عَلَىٰ ذلكَ ننظرُ فِي ما طالَعَنا به إسرائيلُ ولفونسو فِي كتابِهِ تاريخُ الُلغاتِ السامية إِذْ دَلَّ السُّومَرِيُّونَ عَلَىٰ كلمةِ / الله/ بلُغَتِهم ـ وهي إلُّ ـ بنَجْمَةٍ. وَالنَّجْمَةُ تُشِيْرُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَهَذا يَعْنِي أَنَّ السَّوْمَرِيينَ كَانُوا يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّ الإِلهَ إِنَّمَا يَكُوْنُ فِي السَّمَاءِ. مِنْ جِهةٍ أُخْرَىٰ بَاتَتْ صُوْرَةُ النَّجْمَة مُشْتَرَكَةً لأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ(النَّجْمَةِ)[2].

المرحلةُ الثانيــةُ: المرحلةُ المقطعيــةُ

استَخْدَمَ العروبيون الشَّرْقِيون(البابليونَ، والآشوريونَ) الخَطَّ المِسماريَّ المعقَّدَ إِلَىٰ أقصىٰ حدٍّ، الذي وضَعَهُ سلَفُهم الَّذيْنَ كانوا قبلَهم فِي بابلَ وهم السُّومَرِيُّونَ، وعلىٰ العكسِ من ذلكَ يَكتبُ العروبيون الغربيُّونَ أبجديّةً مُشْتَركةً مُكوَّنَةً مِن اثنَينِ

١. يُنْظَرُ: الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب:٣٤، والعراق في التاريخ القديم(د. عامر سليمان):٢٥٩، تاريخ اللغات بالعروبية:٣٣

٢. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية: ٣٥.

وعشرينَ أصلاً[1]. والْكِتَابَةُ المقطعيَّةُ الصَّوتيَّةُ تتكوَّنُ من مقاطعَ صوتيةٍ تبدأُ بحرفٍ صامتٍ يتبعُهُ حرفٌ صائتٌ قصيرٌ مثلُ / بَ/ ، / بُ/ ، / بِ/ ، أو يتبعُه حرفٌ صائتٌ ممدودٌ مثلُ / با/ ، / بُو/ ، / بِي/ [2]، وأولُ مَنْ مارَسَها هم أواخرُ السُّومَرِيينَ وأوائلُ الأكاديينَ[3]. وتمرُّ قراءةُ الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ المقطعيةِ بثلاثِ مراحلَ هيَ:

١. قراءةُ النصِّ الأكاديِّ ونقلُ المقاطعِ الصَّوتيَّةِ الْمِسْمَارِيَّةِ إِلَى العَرَبِيَّة.
٢. تجميعُ المقاطعِ الصَّوتيَّةِ وتكوينُ الكلماتِ.
٣. القراءةُ والترجمةُ.

مثال عَلَى رسمِ الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ:

١. بَعْ. عَل شَ. مِ. اي و إِرْ. صَ. تم (نقلُ المقاطعِ إِلَى العَرَبِيَّة)
٢. بَعْل شَمِي وإرصَتِم (جمعُ وتركيبُ المقاطعِ)
٣. (رَبُّ السماواتِ والأرضِ). (القراءةُ والترجمةُ)

ومن الجديرِ بالذِّكْرِ أنَّ الهيروغليفيةَ طورتْ أيضاً، فِي مرحلةٍ لاحقةٍ، كِتَابَةً مقطعيةً أيضاً، لكنَّ العناصرَ الصَّوتيَّةَ فِي الهيروغليفيةِ لا تتفقُ مع الْكِتَابَةِ السُّومريَّةِ لاّ فِي المبدأِ وهو التَّعبيرُ فِي كلتا اللغتينِ بالخطِّ عن الأصواتِ الصَّامتةِ لا غيرَ[4].

والْكِتَابَةُ المقطعيةُ تتكونُ من ٢٠٠ إِلَى ٤٠٠ مقطعٍ صوتيٍّ حسبَ أصواتِ اللغةِ المستعملةِ لها. ومن اللغاتِ الَّتِي ما تزالُ تَستَعمِلُ الْكِتَابَةَ المقطعيةَ حتىٰ اليومِ: اللغةُ الأمهريّةُ، وهي لغةٌ عروبية تُعتَبَرُ امتداداً للجعزيةِ، لغةِ مملكةِ أكسومَ فِي الحبشةِ. فالْكِتَابَةُ الجعزيةُ/ الأمهريةُ هي كِتَابَةٌ مقطعيةٌ مشتقةٌ من خطِّ الْمُسْنَدِ الحميريِّ. وهذا

١. يُنْظَرُ: فقه اللغات بالعروبية: ٣٥
٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العَرَبِيَّة: ١٥٤.
٣. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية: ٣٤
٤. المصدر نفسه: ٣٤.، وفقه اللغات بالعروبية: ٣٥، علم اللغة العَرَبِيَّة: ١٥٤

من عجائبِ اللغاتِ لأنَّ الأحباشَ أخذوا الْكِتَابَةَ الأبجديةَ الَّتِي تُعَدُّ آخرَ مرحلةٍ من مَرَاحلِ تَطَورِ الْكِتَابَةِ، وحوَّلوها إِلَى كِتَابَةٍ مقطعيةٍ.

وَكَانَ الخَطُّ المِسْمَارِيُّ يُكتَبُ مِن الشِّمالِ إِلَى اليَمينِ وَيُوْضَعُ عَلَى شَكْلٍ عَمُودِيٍّ أَوْ أفقيٍّ عَلَى حَسْبِ مَا تقتضيهِ العلامةُ المرادُ كتابتُها وعلى حسبِ المعنى المقصودِ من تلكَ العلامةِ[1].

الأبجدياتُ العروبية حسبَ الترتيبِ الزمنيِّ:

١. الأبجديةُ الأوغاريتيةُ:

هي أقدمُ كِتَابَةٍ أبجديةٍ عروبية ظهرتْ إِلَى الوجودِ بدايةَ الألفيةِ الثانيةِ قبلَ الميلادِ غربيَّ سوريّةَ. اشتقَّ الأوغاريتيونَ أشكالَ أبجديَّتِهم من الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ ولقد اتبعَ الأوغاريتيونَ النِّظامَ الأبجديَّ فِي تدوينِ اللغةِ وترجعُ كلمةُ (أبجديةٍ) إِلَى ترتيبِهم للحروفِ الَّتِي كتبوا بها لغتَهم[2].

الأبجديةُ الاوغاريتيةُ)[3].

الأبجديــة الأوغاريتيــة

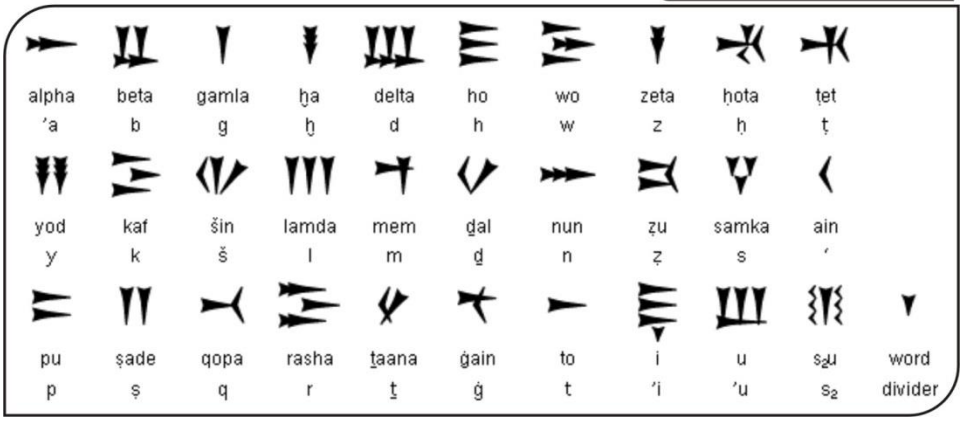

١. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية: ٤٠.

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العَرَبِيَّة: ١٦٠، وتاريخ اللغات بالعروبية: ٤٥، ١٠٦.

٣. يُنْظَرُ: المدخل إِلَى فقه اللغة: ٩٨.

٢. الأبجديةُ الفينيقيةُ

الْكِتَابَةُ الأبجديةُ الفينيقيةُ هي امتدادٌ مباشرٌ للأبجديةِ الأوغاريتيةِ، وقد ذهبَ الفينيقيونَ إِلَى تبسيطِ نظامِ الْكِتَابَةِ وجعلُوها أبجديةً، إذ احتفظَ الفينيقيونَ بفكرةِ النظامِ الأبجديِّ، غيرَ أنَّهم عدَّلوا أشكالَ الحروفِ لتصبحَ سهلةً فِي الْكِتَابَةِ، فضلاً عن ذلكَ أنَّهم احتفظوا بذلكَ الترتيبِ الأوغاريتيِّ للحروفِ[1].

هيئة الكتابة الفينيقية:

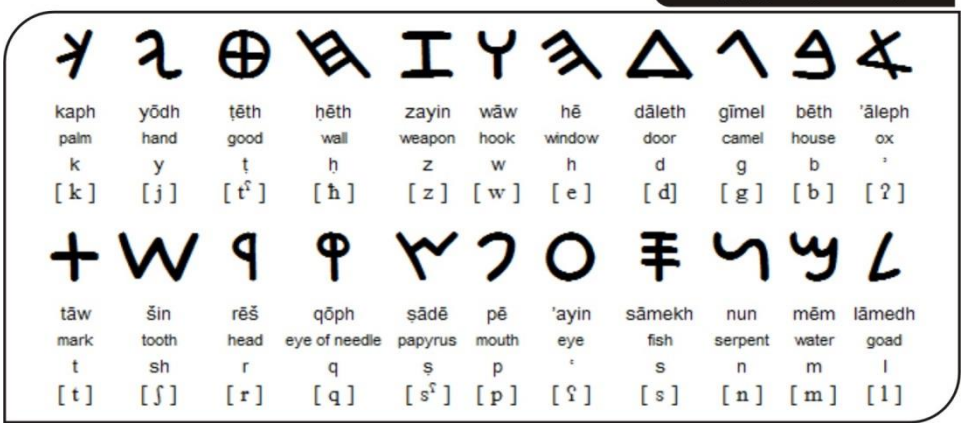

٣. الأبجديةُ الآراميةُ

يُطْلَقُ عَلَى مَجْمُوعَةِ النُّقُوشِ القَدِيمَةِ الْمُدَوَّنَةِ بِالآرَامِيَّةِ مُصْطَلَحُ الآراميّةِ القديمةِ، وتعودُ هذهِ النُّقُوشُ إِلَى القرنِ العاشرِ قبلَ الميلادِ والقرنِ الثَّامِنِ قَبْلَ الْمِيْلَادِ، إِذْ وُجِدَتْ هَذهِ النُّقُوشُ فِي مَنَاطِقَ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الشَّامِ وَالعِراقِ[2].

١. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٦٣، والمدخل إِلَى دراسة تاريخ اللغات الجزرية:٢٣.

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العَرَبِيَّة:١٧٢، ويُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة العَرَبِيَّة وارومتها:١٢٠

هيئة الكتابة الآرامية القديمة :

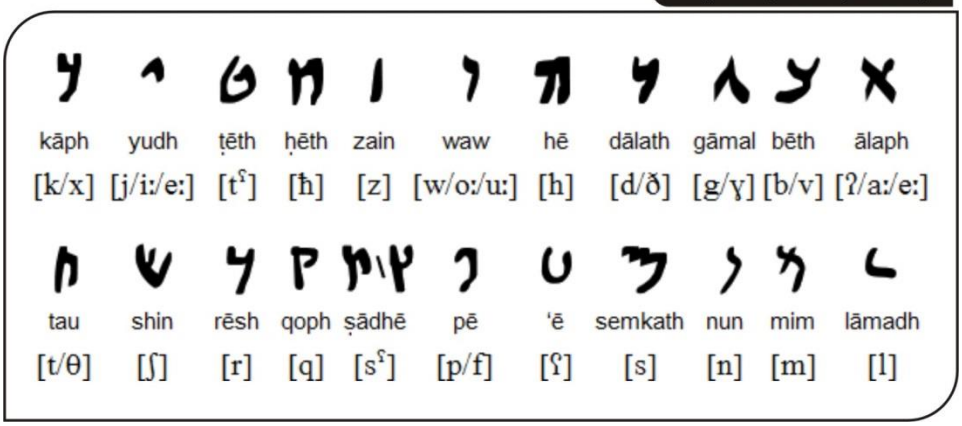

وقد تمثلتِ الأبجديةُ الآراميةُ بالْكِتَابَاتِ الَّتِي تمثلتْ بها لهجاتُها الشَّرْقِيَّةُ وَالغَرْبِيَّةُ.

٤. الأبجديةُ العِبْرية

لقد تأثرتِ الأبجديةُ العبريةُ بالأوغاريتيةِ وهذا ما تمثَّلَ فِي عددِ حروفِها، إذْ تمثلتْ بخمسةٍ وعشرينَ حرفاً صامتاً، فضلاً عن ذلكَ أنَّ الترتيبَ الألفبـاءَ العـبريَّ مشـابهٌ لترتيبِ حروفِ الهجاءِ الأوغاريتيِّ، والأبجديةُ العبريةُ تقومُ عَلَى اختزالِ الأصـواتِ حيثُ يُمزَجُ صوتُ الخاءِ مع صوتِ الهاءِ والتاءِ مع الشينِ والدالِ مع الـزايِ والغـينِ مع العينِ[1]، فضلاً عن ذلكَ أنَّ الْكِتَابَـةَ العبريـةَ القديمـةَ كانـتْ تُـدَوَّنُ فِي مراحلِهـا الأَوْلَى دونَ حركاتٍ، وكانتْ إضافَةُ الحركاتِ في مرحلةٍ تاليةٍ[2].

١. يُنْظَرُ: المدخل إِلَى دراسة تاريخ اللغات الجزرية:٦٣_٦٤

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة:١٦٨.

٥. الأبجديةُ النبطيةُ:

اشتُقَّتْ الأبجديةُ النبطيةُ مِن الأبجديةِ الآراميةِ الَّتِي اعتمدتْ الْكِتَابَةَ الفِينِيقِيَّةَ دون تغييرٍ منهم، وأشكالُ الحروفِ وطبيعةُ رسمِها تَشي بذلكَ الأثرِ الآراميِّ فِي الْكِتَابَةِ النبطيةِ، ويرىٰ بعضُ الباحثينَ أنَّ الْكِتَابَةَ الآراميةَ النبطيةَ قد أسهمتْ فِي بنائيةِ الخطِّ العربيِّ وهذا ما يتمثَّلُ فِي كثيرٍ من الْكِتَابَاتِ الَّتِي نُقِلَتْ عن العربِ من خلالِ النُّقُوشِ الَّتِي عُثِرَ عليها[1] ولم يكن للأنباطِ قلمٌ بل كتَبوا كما كانَ يَكتُبُ جيرانُهم، لأنَّهم فِي الأَصْلِ شعبٌ بدويٌّ يلهجُ بلغةٍ محليةٍ منطوقةٍ غيرِ مدوَّنةٍ[2].

هيئةُ الْكِتَابَةِ النبطيــةِ:

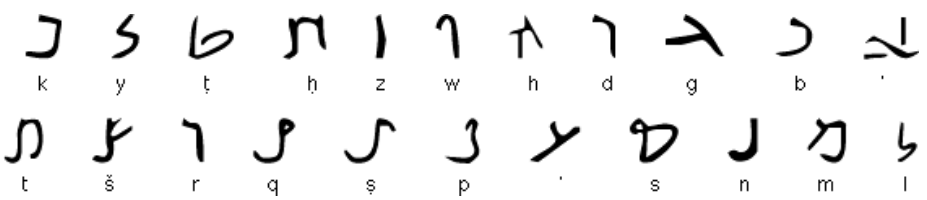

٦. الأبجديةُ السريانيةُ

للسريانِ ثلاثةُ أقلامٍ وهي المفتوحُ ويُسَمّىٰ «أسطرنجلا» وهو أجَلُّها وأحسنُها، والتحريرُ المخفَّفُ ويُسمىٰ «أسكوليثا» وله شكلٌ مدوَّرٌ، و«السرطا» ونظيرُه فِي العَرَبِيَّة قلمُ الرِّقاعِ[3] وقد ظهرتِ الأبجديةُ السريانيةُ إِلَىٰ الوجودِ فِي بدايةِ القرنِ الثاني للميلادِ، وهي أبجديةٌ مشتقةٌ من الآراميةِ القديمةِ، قال ابنُ النديمِ: «قالَ تيادروسُ

١. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية:١٤٥- ١٤٩، ويُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة (فولفد يتريش فيشر:٧٨)
٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العربة:١٨١- ١٨٢، والمدخل إِلَىٰ فقه اللغة العَرَبِيَّة:٨١.
٣. يُنْظَرُ: الفهرست:١٢

المُفسرُ فِي تفسيره للسِّفْرِ الأَوَّل من التوراةِ: إنَّ اللهَ تباركَ وتعالىٰ خاطبَ آدمَ باللسانِ النَّبطيِّ، وهو أفصحُ من اللسانِ السريانيِّ، وبهِ كانَ يتكلمُ أهلُ العراقِ»[1]. وتُعرَفُ الأبجديةُ السِّريانيةُ الَّتِي ظَهرتْ فِي القرنِ الثَّاني للميلادِ باسمِ «كِتَابَة الإسطرنجالا»[2] وهي تسميةٌ يونانيةٌ تعني «الْكِتَابَةَ المستديرةَ»، أُطلِقَتْ عَلَىٰ هذهِ الْكِتَابَةِ الَّتِي استعملَها المسيحيونَ السوريونَ فِي كتاباتِهم الدينيةِ وخصوصاً فِي ترجمتِهم أسفارَ الكتابِ المقدسِ المعروفةَ باسمِ «بُشِيتا»، أي «التَّرجَمَةُ البَسِيطَةُ»، الَّتِي سُمّيَتْ هكذا لحرفيةِ النقلِ عن العبريةِ، ـ وذلكَ لتمييزِ كِتَابَةِ الإسترانجلا من «الْكِتَابَةِ المربعةِ» الَّتِي استعملَها اليهودُ فِي تدوينِ أسفارِهم.

بعدَ الانشقاقِ الذي وقعَ فِي القرنِ الخامسِ للميلادِ بينَ صفوفِ السِّرْيَانِ إِلَىٰ يَعاقبةٍ ونَساطرةٍ، وهروبِ النَّساطرةِ من البيزنطيينَ إِلَىٰ بلادِ فارسَ، تفرعَ عن كِتَابَةِ الإسترانجلا كتابتان: «كِتَابَةُ السِّرْطا» «وتُعرَفُ اليومَ باسمِ «كِتَابَةِ السّرْطو» الَّتِي يستعملُها اليعاقبةُ، و«الْكِتَابَةُ النسطوريةُ»[3].

ويرىٰ كثيرٌ من القدماءِ أنَّ الخطَّ الاسترنجلا هو أصلُ الخطِّ العربيِّ[4] عَلَىٰ الرغمِ من أنَّهُ لم يَكُنْ له نظامُ حركاتٍ لتشكيلِ الكلماتِ وضبطِ الأصواتِ، كما هو حالُ الْكِتَابَةِ العَرَبِيَّة، لذلكَ يمكنُ القولُ بأنَّ أثرَهُ محدودٌ فِي الْكِتَابَةِ العَرَبِيَّة ويكادُ ينحصرُ فِي الخطِّ العربيِّ المعروفِ بالخطِّ الكوفيِّ الذي يشبهُ برسمِه الهندسيِّ[5] وأمّا اليَعَاقِبَةُ فاسْتَعاروا مِن اليُونانيينَ أحرفَهم الصَّوتيَّةَ لِضَبْطِ أصْواتِ لُغَتِهم، فاستَعانوا بالحروفِ الصَّوتيَّةِ اليُونَانِيَّةِ فرسموها فوقَ الحروفِ كَما هِي، وَتحتَ الحُروفِ

---

١. الفهرست:١٢

٢. يُنْظَرُ: الفهرست:١٢

٣. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية:١٤٥_١٤٩.

٤. يُنْظَرُ: الكتابات القديمة:٢٢٤_٢٢٥.

٥. يُنْظَرُ: الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب:٨٦.

مقلوبةً[1]، بَيْنَمَا أخذَ النَّساطِرةُ ذلكَ عن العربِ:

٧. هيئةُ كِتَابَةِ الإسطرانجلا:

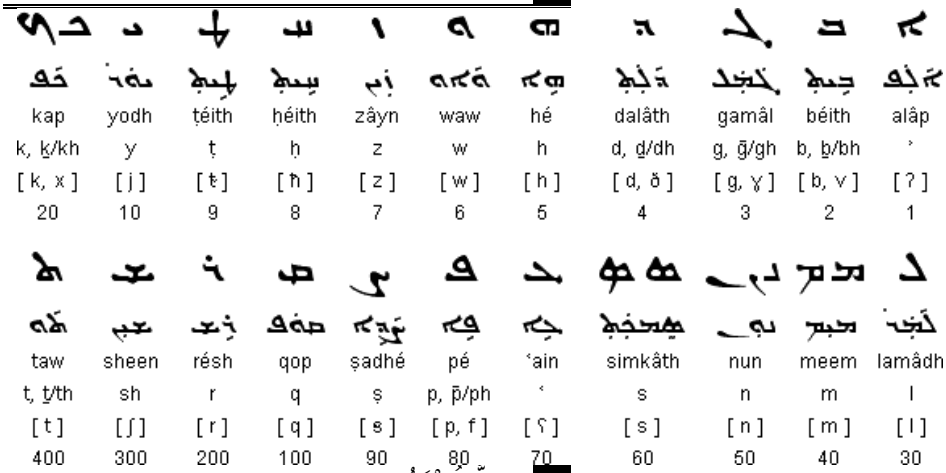

خطّ المُسْنَدُ

ذهبَ بعضُ الباحثينَ إِلَى أنَّ الخطَّ المُسْنَدَ هو الخطُّ الَّذي دُوِّنَتْ به النُّقُوشُ اللحيانيةُ الَّتِي يعودُ تاريخُها إِلَى سنةِ (٤٠٠) وسنةِ (٢٠٠) ق.م والنُّقُوشُ الثَّموديةُ الَّتِي تعودُ إِلَى القرنِ الخامسِ ق.م[2]، وقد كُتِبَتْ النُّقُوشُ العَرَبِيَّة القديمةُ بخطٍّ أبجديٍّ يتكونُ من ٢٩ رَمْزَاً، إذْ يقومُ الخطُّ المُسْنَدُ عَلَى أساسِ الصَّوامتِ فقط، فهو خطٌّ لا يقومُ على تدوينِ الحركاتِ[3].

أنموذجٌ من الخطِّ المُسْنَدِ:

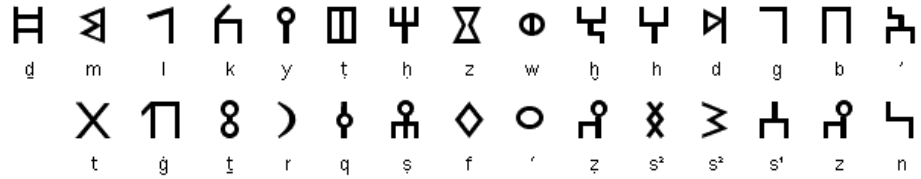

١. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية:١٤٥-١٤٩

٢. فقه اللغة، وافي:١٠٠.

٣. يُنْظَرُ: علم اللغة العَرَبِيَّة:١٨٥

٨. الأبجديةُ العَرَبِيَّة الشمالية:

قيلَ إنَّ آدمَ عليهِ السلامُ هو أولُ مَن كتَبَ بالعَرَبِيَّة[١] وعن ابنِ عبدِ ربِّهِ الأندلسيِّ- أنه يزعُمُ أنّ النبيَّ إدريسَ عليهِ السلامُ أولُ من كتَبَ بالعَرَبِيَّة. ثم يعودُ، أسطُراً بعدَ ذلكَ، ليقُولَ إنَّ النبيَّ إسماعيلَ هو أولُ مَن كتَبَ بالعَرَبِيَّة[٢] إذْ دخلَ مع اللغةِ العَرَبِيَّة الحديثةِ الخطُّ النبطيُّ المأخوذُ من الفينيقيينَ، وقيلَ إنّه نسبةٌ لنابتِ بنِ إسماعيلَ عليهِ السلامُ. وأخذَ ذلكَ الخطُّ مكانَ الخطِّ الثموديِّ في شمالِ الجزيرةِ، وأصبحَ الخطَّ المُعْتَمَدَ في لغةِ مضرَ (العَرَبِيَّة الحديثةِ)، أمّا لغةُ حميرَ (العَرَبِيَّة القديمةُ الجنوبيةُ) فحافظتْ عَلَىٰ الخطِّ المُسْنَدُيِّ.

وكانَ أقدمُ نصٍّ عربيٍّ مكتشفٍ مكتوباً بالخطِّ النبطيِّ وهو (نقشُ النمارةِ) المكتشفُ في سوريا، الذي يرجعُ لعامِ ٣٢٨م. وفي الفترةِ السابقةِ للإسلامِ كانتْ هناكَ خطوطٌ أخرىٰ حديثةٌ للغةِ مضرَ مثل الخطِّ الحيريِّ (نسبةً إِلَىٰ الحيرةِ)، والخطِّ الأنباريِّ (نسبةً إِلَىٰ الأنبارِ).

وعندما جاءَ الإسْلامُ كانَ الخطُّ المستعملُ في قريشٍ هو الخطُّ النبطيُّ المطوَّرُ، وهو الخطُّ الذي استخدمَه النبيُّ صلّىٰ اللهُ عليهِ وسلّمَ في كِتَابَةِ رسائلِه للملوكِ والحكامِ حينذاكَ، ويُلحَظُ في صورِ بعضِ تلكَ الخطاباتِ الاختلافُ عن الخطِّ العربيِّ الحديثِ الذي تطوَّرَ من ذلكَ الخطِّ. وبعضُ المختصّينَ يعتبرونَ ذلكَ الخطَّ النبطيَّ المطورَ عربياً قديماً، وأقدمُ مكتشفاتٍ منه (نقشُ زبدٍ) ٥١٣م، و(نقشُ أمِّ الجمال) ٥٦٨م.

وكان الحجازيونَ أولَ مَن حررَ العَرَبِيَّة من الخطِّ النبطيِّ، وبدأَ يتغيرُ بشكلٍ متقاربٍ حتىٰ عهدِ الأمويينَ حينَ بدأَ أبو الأسودِ الدؤليُّ بتنقيطِ الحروفِ. وأخذَ

١. صُبْحُ الأَعْشَىٰ في صِناعة الإنشاء: ٣/ ١٠
٢. العِقْدُ الفَريد: ٣/ ١٥٧

الخطّ النبطي –الذي هو أبو الخطِّ العربيِّ الحديثِ– فالأبجدية العَرَبِيَّة الشمالية، أبجديتنا الحالية، هي آخرُ الأبجدياتِ العروبية ظهوراً، اشتقَّها عربُ الشمال من أبجدياتِ إخوانِهم العروبيين فِي الشمال، فالخطُّ العربيُّ الشماليُّ هو سليلُ الأبجديةِ العروبية الشماليةِ الغربيةِ[1]، والأبجديةُ العَرَبِيَّة الشمالية هي الأبجديةُ العروبية الوحيدةُ الَّتِي استعملتْ حروفَ العلةِ للدلالةِ عَلَى الحركاتِ الطويلةِ كما بيّنّا فِي أعلاه لأنّ ذلكَ نادرٌ فِي العبريةِ والسريانيةِ اللتينِ لم تكونا تثبتانِ الحركاتِ الطويلةَ كِتَابَةً إلاّ نادراً. أسلفْنا أنَّ اللغاتِ العَرَبِيَّة القديمةَ كانتْ تكتبُ بالخطينِ المُسْنَديِّ والثَّموديّ.

هيئةُ الْكِتَابَةِ العَرَبِيَّة:

Final	Medial	Initial	Isolated	Final	Medial	Initial	Isolated	Final	Medial	Initial	Isolated
ق	ـقـ	قـ	ق	ز	ـز	زـ	ز	ـا	ـا	اـ	ا
ك	ـكـ	كـ	ك	س	ـسـ	سـ	س	ـب	ـبـ	بـ	ب
ل	ـلـ	لـ	ل	ش	ـشـ	شـ	ش	ـت	ـتـ	تـ	ت
م	ـمـ	مـ	م	ص	ـصـ	صـ	ص	ـث	ـثـ	ثـ	ث
ن	ـنـ	نـ	ن	ض	ـضـ	ضـ	ض	ـج	ـجـ	جـ	ج
ه	ـهـ	هـ	ه	ط	ـطـ	طـ	ط	ـح	ـحـ	حـ	ح
و	ـو	ـو	و	ظ	ـظـ	ظـ	ظ	ـخ	ـخـ	خـ	خ
ي	ـيـ	يـ	ي	ع	ـعـ	عـ	ع	ـد	ـد	د	د
ء	ـء	ـء	ء	غ	ـغـ	غـ	غ	ـذ	ـذ	ذ	ذ
				ف	ـفـ	فـ	ف	ـر	ـر	ر	ر

١. يُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة، فيشر:٧٧.

ب. هيئةُ الحركاتِ العَرَبيَّة:

الخطُّ العربيُّ بعدَ الإسْلام:

بظهورِ الإسْلام ظهرتِ الحاجةُ إِلَى استعمالِ الخطِّ ومعرفةِ الْكِتَابَةِ، وقيلَ أولُ الخطوطِ العَرَبِيَّة الخطُّ المكيُّ وبعدهُ المدنيُّ ثم الكوفيُّ[1].

وكان لرسولِ الله (ص) كتّابٌ يكتبونَ رسائلَه إِلَى الملوكِ والأمراءِ، وقد بلغَ عددُهم اثنينِ وأربعينَ كاتباً، و أولُ مَن كتبَ لهُ أُبيُّ بنُ ابي كعبٍ، ومن أشهرِ كتّابِ رسولِ الله (ص):عليُّ بنُ أبي طالبٍ (ع)، وعثمانُ بنُ عفانٍ (رض)، وعمروُ بنُ العاصِ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وشرحبيلُ بنُ حسنة، وغيرُهم[2].

الإعجامُ ونقطُ الإعرابِ:

إنَّ عدةَ حروفِ المُعجمِ في العَرَبِيَّة تسعةٌ وعشرونَ حرفاً، وبعضُ هذهِ الحروفِ يشتركُ مع غيرِه من الحروفِ بالرسمِ في حالةِ الإفرادِ، نحوَ: د، ذ، ر، ز. أو في حالةِ التركيبِ، نحوَ: النون والباء، وعلى هذا الأساسِ احتيجَ إِلَى مميزٍ يميزُ بعضَ الحروفِ عن بعضٍ ليزولَ اللبسُ ويذهبَ الاشتراكُ، وقيلَ إنَّ العربَ الأوائلَ كانوا لا يميلونَ إِلَى هذا الصنيعِ، لأنّه في تصورِهم منقصةٌ بالمرسلِ إليه، ونُقِلَ عن بعضِ الأدباءِ أنه قالَ: ((كثرةُ النقطِ في الْكِتَابَةِ سوءُ ظنٍّ بالمكتوبِ إليه)).

---

١. يُنْظَرُ: الفهرست لابن النديم:٩.

٢. يُنْظَرُ: الخط العربي سهيلة الجبوري:٢٩.

نص من المصحف الشريف بخط الامام علي (عليه السلام) يخلو من نقط الاعجام

نص من المصحف الشريف بخط الامام الحسن (عليه السلام)

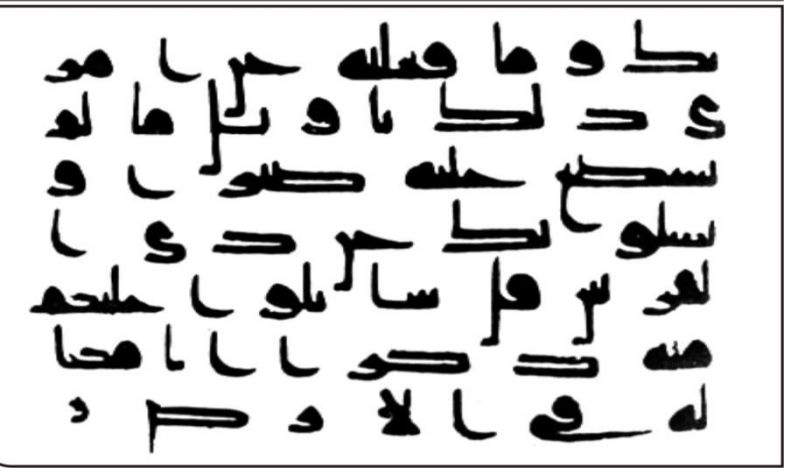

نص من المصحف الشريف بخط الامام الحسين (عليه السلام)

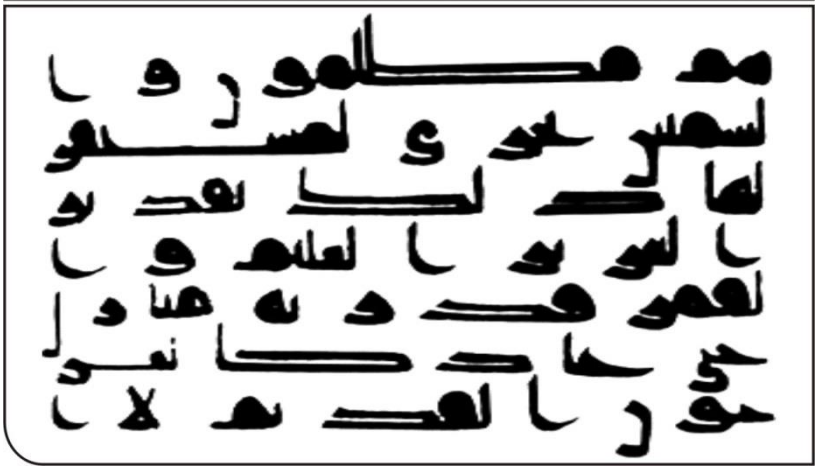

فالملاحَظُ عَلَى تلكَ النُّصوصِ أنها تخلو من نقـطِ الإعجـامِ فضـلاً عـن علامـاتِ الإعرابِ، ولكنّ من الغريبِ أنّ نجـدَ أنّ تـاريخَ الإعجـامِ يعـودُ إِلَى نشـأةِ الْكِتَابَـةِ، وقصةُ وضعِ الحروفِ من قِبلِ ثلاثةِ رجالٍ من قبيلةِ بولانَ هم: مرارُ بنُ مرةَ، و أسلمُ بنُ سدرةَ، و عامرُ بنُ جدرةَ، فقدْ وضعَ مرارٌ الصـورةَ، و وضـعَ الوصـلَ والفصـلَ أسلمُ، و وضعَ عامرٌ الإعجامَ[1]. ويُفهَمُ من هذهِ الروايةِ أنَّ الإعجامَ وُضعَ مع وضْعِ الحروفِ، وهذا فيه نظرٌ.

أمّا بعدَ الإسْلامِ فيعودُ تاريخُه إِلَى زمنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، وقيلَ إنّ تلميذَيْ أبي الأسودِ، نصرُ بنُ عاصمٍ، و يحيى بنُ يعمُرَ قاما بهذا العملِ لتمييزِ الحروفِ المتشـابهةِ. إذْ بلغَ عددُ الحروفِ المنقوطةِ خمسةَ عشرَ حرفـاً، أمّـا تـاريخُ وضـعِ نقـطِ الإعـرابِ فتذهبُ بهِ الروايةُ إِلَى أنَّ أبا الأسودِ الدؤليَّ هو من قامَ بهذا الأمرِ بعدما سمعَ أعرابياً يقرأُ: ((أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» بالكسرِ، فطلبَ مـن ابـنِ زيـادٍ أنْ يأتيَـه

١. يُنْظَرُ: الفهرست: ٧، وصبح الأعشى في صناعة الانشاء: ٣/ ١٥١.

بكاتبٍ لَقِنٍ، فوجدَهُ من عبدِ قيسٍ، وطلبَ منهُ أن يأتيَ بالمصحفِ ومدادٍ يخالفُ لونَ مدادِ المصحفِ، وقالَ له: اسمع إلي فإذا وجدْتَني فتحتُ شفتيَّ بحرفٍ فاجعلْ نقطةً فوقه، وإذا أنا كسرتُها عند نطقي بالحرفِ، فاجعلْ نقطةً تحته، وإذا ضممتُها فاجعلِ النقطةَ إلَى جانبِ الحرفِ الذي نطقتُ بهِ، وإذا اتبعتُ شيئاً من الحركاتِ ((غُنّةً» أي تنويناً فاجعلِ النقطةَ نقطتينِ[1]

نص من المصحف الشريف بخط الامام الرضا «عليه السلام» معجم ومعرب

أمّا شكلُ هذه النقاطِ فقد اختلفتْ صورُه، فمنهم مَن رسمَها مدورةً مسدودةَ الوسطِ، ومنهم من جعلَها مدورةً مجوفةَ الوسطِ. ثمَّ زادَ أهلُ المَدينَةِ علامةً للحرفِ المشدَّدِ، وزيدتْ أيضاً علامةٌ أخرىٰ فوضعَ للسكونِ جرةٌ أفقيةٌ فوقَ الحرفِ.

وظلتْ طريقةُ أبي الأسودِ مستعملةً إلَى أنْ جاءَ الخليلُ بنُ أحمدَ و وضعَ رموزَه الخاصةَ الَّتِي اقتطعَها من صورِ حروفِ العلةِ (و،ا، ي) أمّا السُّكونُ فرمزَ لها بدائرةٍ تشبهُ الميمَ، وللتشديدِ رأسُ شينٍ، وللهمزةِ رأسُ عينٍ، وللوصلِ رأسُ صادٍ.

١. يُنْظَرُ: وفيات الاعيان:٢/ ٢١٧والفهرست:٤٥، و قصة الكتابة:٥١، والبحث اللغوي عند العرب:٦١

علاماتُ التَّرقيمِ: بعدَ مرحلَتَيْ الحركاتِ والإعجامِ، جاءتِ المرحلةُ الثالثةُ مكملةً للمرحلتينِ السابقتينِ. ألا وهي وضعُ علاماتِ الترقيمِ، فقدْ كانَ من عيوبِ الْكِتَابَةِ القديمةِ فِي النصِّ العربيِّ القديمِ رصُّ الكلماتِ رصّاً متجاوراً لا فرجةَ بينها، ولا نهايةَ لجُمَلِها، ولا فواصلَ تحدُّها، مما نشأَ عنه تداخلُ أجزاءِ الجملِ بعضِها مع بعضٍ، واضطرابِ المعاني.

ولهذا جاءَ وضعُ علاماتِ الاستفهامِ، والتعجبِ، والفواصلِ، والنقطةِ، وإلخ

عيوب ومشكلاتُ الخطِّ العربيِّ[1]:

١. إنَّ الحرفَ العربيَّ المنطوقَ يختلفُ عن المكتوبِ، فالمكتوبُ عارياً من الحركاتِ يقودُ إِلَى اللحنِ لا سيما عند المبتدئينَ وقليلي الثقافةِ.
٢. تعدُّدُ صورِ الحرفِ الواحدِ فِي الْكِتَابَةِ حسبَ موقعِه فِي اللفظِ.
٣. مشكلةُ الظاءِ والضادِ فِي العَرَبِيَّة تثيرُ الكثيرَ من الصعوباتِ فِي إيجادِ الفرقِ بينَ صوتيهما.
٤. التباينُ بينَ اللغةِ الفصحى والعاميةِ فِي أصواتِ المدِّ القصيرةِ، إذْ يؤثرُ فِي فهمِ الأوزانِ العَرَبِيَّة.
٥. التَّقاربُ بينَ رسمِ الحروفِ يقودُ إِلَى تحريفِ بعضِ الكلمِ كالذي يحصلُ بين الراءِ والدالِ والحاءِ والميمِ.
٦. إعجامُ الحروفِ أوجدَ ما يسمى بالتصحيفِ، وهو نتيجةُ تغييرِ موضعِ النقطِ كأنْ تزحفَ النقطةُ من حرفٍ منقوطٍ إِلَى غيرِه أو تزيدُ فِي بعضِ الحروفِ.

١ يُنْظَرُ: فقه اللغة الدكتور عبد الحسين المبارك:١٥٦.